



قبل شهرين صدر تقرير عن منظمة العفو الدولية (أمнести) طواه النسيان كغيره من التقارير، هو مجرد تقرير احترافي (بمعنى أن عمل المنظمة هو إصدار التقارير) وإلا فما مبرر وجودها؟! وهي لا تستطيع جَرفياً أن تتجاهل ما يجري في سوريا وبشكل خاص معتقلات النظام السوري.

لا قيمة واقعية للتقرير إذا لم يكن هناك قرار سياسي عالمي بمحاسبة المسؤولين، وهذا أمر آخر لا علاقة له بصور التقارير، وهو يصدر بعد خمس سنوات كانت الإبادة الممنهجة خلالها تجري أمام أعين مراقبي هذه المنظمات، وأنا شخصياً كنت مراقباً لـ "هيومان رايتس ووتش" في مخيم اليرموك في فترة حصار التجوع الذي لم تعترف به الأمم المتحدة إلا بعد استشهاد مئة وثمانين مدنياً، ولدى هذه المنظمات ملفات ووثائق تفصيلية تملأ عشرات التقارير ولكنها لم تنشر، ولا أظنها ستُنشر!

مئات آلاف الصور والفيديوات التي تصور عمليات القتل والتعذيب والإذلال بأشع صورها التي يندى لها جبين الإنسانية ولم تهتز شعرة في طيز هذا العالم.

سرعان ما سيتوقف الأمر عند موضوع ما زال يتكرر منذ ست سنوات، كنا نسمع التصريحات الغاضبة والمطالبة بمحاسبة المسؤولين عن هذه الفظائع، ويكتب الكُتاب حتى تمتلئ صفحات الصحف بالبكاء والغضب، ثم ينتقل العالم كله إلى قضية مثيرة أخرى يهتم بها.. فما يهتم به العالم بعيد غالباً عما نظنه مهماً- استطراداً- لاحظوا معي أن مقتل أكثر من ألفي مدني عراقي في الموصل في قصف لطائرات التحالف الدولي بطلب من الحكومة العراقية، لاحظوا أن هذا لم يحطّ بنصف اهتمام العالم بمقتل شرطي أزرق العينين في لندن.. وصار الإرهاب نوعاً محدداً هو فقط عندما يكون القاتل مسلماً، أما إذا كان القاتل أوروبياً أو أمريكياً أو "غير سني" فهو خطأ أو جريمة تدعو الأمم المتحدة وهيئاتها وبنات خالات هيئاتها للقلق... لا شيء غير القلق.

علينا أن نعترف بأن الأمر ليس متعلقاً بالمعلومات حول الجريمة ولا بصدقيتها على الإطلاق.. فتورة المعلومات والاتصالات وصلت إلى حد بث الحدث مباشرة، ألا تكفي خمسون ألف صورة لآلاف الذين قتلوا تحت التعذيب ليفعل العالم شيئاً بإنقاذ من تبقى من الموعودين بالموت في صيدنايا وغيرها من معتقلات الموت السورية؟!



القضية متعلقة بنوعية الضحايا، فلهؤلاء الضحايا أسماء لا يجرؤ أحد على ذكرها أو لا يريد.

والسؤال، بالعودة إلى سوريا، هو: ما السبب الحقيقي الذي يدعو النظام إلى هذا الحجم من الما بعد بعد السادية؟ حتى غدا القتل عند مجرميه نوعاً من التسلية والمتعة، وهذا جلي من خلال سلوك جنوده بلكنتهم المعروفة، وهم يتباهون أمام كاميراتهم بإذلال السوريين بمنتهى الخسة إذ لا فرق عندهم بين صغير وكبير ولا بين رجل وامرأة، هم يتصرفون على اعتبار أن هناك كتلة بشرية كاملة استحققت هذا النوع من المعاملة... ويبدو لي أن العالم يأخذ حصته من المتعة في عرض أشلاء هذا الشعب.

ويعرف السوريون أنه منذ الشهور الأولى من عمر الثورة بدأ النظام يستيخ فئات محددة من أبناء الشعب السوري، ففي مرحلة كان الدرعاوي مستباحاً لمجرد أنه وُلد في درعا، وفي مرحلة اعتبر كل فلسطيني خائناً لأن جزءاً كبيراً من أبناء المخيمات أيد ثورة الشعب السوري، ولك أن تعدد أسماء المدن والقرى التي اعتبرت مهدورة الدم، حتى وصل الأمر إلى اعتبار أكثر من ثلثي الشعب السوري خونة ويجب تهجيرهم أو قتلهم بمنتهى البساطة.

وصار يكفي أن يجر الجندي الواقف على الحاجز أي شخص لا يعجبه شكله ويرسله إلى جحيم المعتقلات السورية، وهو يعرف تماماً أن ليس له علاقة بالثورة لا من قريب ولا من بعيد، والجميع يعرف أن أكثر من ستين بالمئة من المعتقلين لا علاقة فعلية لهم بالثورة، والكثير منهم قد يكونون مؤيدين للنظام ولكن تأييدهم لم يشفع لهم.

قبل فترة قرأت شهادة لمعارض (علوي) اجتمع بشيخ (سني) في زنزانة واحدة (اعتقل الشيخ بسبب مخالفة بسيطة) وقد ذكر المعارض في شهادته أن الشيخ عُذب حتى الموت بينما خرج هو بعد فترة ليروي شهادته ويستمر في معارضته.

الآن فهمت لماذا كان النظام في بداية الثورة متساهلاً مع المعتقلين!!؟

الكاتب: [خليل أبو سلمى](#)